

## إسماعيل : عليه السلام

كان إبراهيم -عليه السلام- يحب أن تكون له ذرية صالحة تعبد الله -عز وجل- وتساعد في السعي على مصالحه، فعلمت السيدة سارة ما

يريده زوجها، وكانت عاقراً لا تلد فوهبت له خادمتها هاجر ليتزوجها؛ لعلها تنجب له الولد، فلما عليه السلام- حملت منه، وأنجبت له إسماعيل، وبعد مرور فترة من ولادة -تزوجها إبراهيم إسماعيل أمر الله -عز وجل- إبراهيم أن يذهب بزوجه هاجر وولده إلى مكة، فاستجاب إبراهيم لأمر ربه، وسار بهما حتى وصلوا إلى جبال مكة عند موضع بناء الكعبة، وظل معهما فترة قصيرة، ثم تركهما في هذا المكان وأراد العودة إلى الشام، فلما رأته زوجته هاجر عانداً أسرع خلفه، وتعلقت بثيابه، وقالت له: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! فلم يرد عليها إبراهيم -عليه السلام- وظل صامتاً، فألحت عليه زوجته هاجر، وأخذت تكرر الله أمرك بهذا؟ فقال إبراهيم: نعم، فقالت هاجر: إذن لن: السؤال نفسه، لكن دون فائدة، فقالت له يضيعنا، ثم رجعت

وترك زوجته وولده، وليس معهما من الطعام والماء إلا القليل، ولما -وسار إبراهيم -عليه السلام ابتعد عنها إبراهيم، رفع يده داعياً ربه فقال: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا} [إبراهيم: ٣٧] ثم واصل السير إلى الشام، وظلت هاجر وحدها، ترضع ابنها إسماعيل، وتشرب من الماء الذي تركه لها إبراهيم حتى نفذ ما في السقاء، فعطشت، وعطش ابنها فتركته وانطلقت تبحث عن الماء، بعدما بكى الطفل بشدة، وأخذ يتلوى، ويتمرغ أمامها من شدة العطش

وأخذت هاجر تمشي حتى وصلت إلى جبل الصفا، فصعدت إليه ثم نظرت إلى الوادي يميناً ويساراً؛ لعلها ترى بئراً أو قافلة مارة من الطريق فتسألهم الطعام

أو الماء، فلم تجد شيئاً، فهبطت من الصفا، وسارت في اتجاه جبل المروة فصعدته وأخذت تنظر بعيداً لترى مُنْقِداً ينقذها هي وابنها مما هما فيه، إلا أنها لم تجد شيئاً كذلك، فنزلت من جبل المروة صاعدة جبل الصفا مرة أخرى لعلها تجد النجاة وظلت هكذا تنتقل من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا سبع مرات

وقد أصبح هذا السعي شعيرة من شعائر الحج، وذلك تخليدًا لهذه الذكرى، قال تعالى: {إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم} [البقرة: ١٥٨] وبعد أن تعبت هاجر، وأحست بالإجهاد والمشقة، عادت إلى ابنها دون أن يكون معها قطرة واحدة من الماء، وهنا أدركتها رحمة الله - سبحانه - فنزل الملك

جبريل - عليه السلام - وضرب الأرض، فتفجرت وتدفقت منها بئر زمزم وتفجر منها ماء عذب غزير، فراحت هاجر تغرف بيدها وتشرب وتسقى ابنها، وتملاً سقاءها، وشكرت الله - عز وجل - على نعمته، وعلى بئر زمزم التي

فجرها لها.

ومرت أيام قليلة، وجاءت قافلة من قبيلة جرهم - وهي قبيلة عربية يمنية - فرأت طيراً يحوم فوق مكان هاجر وابنها، فعلموا أن في ذلك المكان ماء، فأقبلوا نحو المكان الذي يطير فوقه الطير، فوجدوا بئر زمزم فتعجبوا من وجودها في هذه المكان، ووجدوا أم إسماعيل تجلس بجوارها، فذهبوا إليها، وعرفوا قصتها فاستأذنوها في الإقامة بجوار هذه البئر، فأذنت لهم، وعاشت معهم هي وابنها وتعلم منهم إسماعيل اللغة العربية، وأخذت هاجر تربي ابنها إسماعيل تربية حسنة وتغرس فيه الخصال الطيبة والفضائل الحميدة، حتى كبر قليلاً، وصار يسعى في مصالحه لمساعدة أمه.

يزور هاجر وولده إسماعيل من حين لآخر لكي يطمئن عليهما، وذات - وكان إبراهيم - عليه السلام يوم رأى إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل الذي جاء بعد شوق طويل، فلما قام من نومه، يا { :علم أن ما رآه ما هو إلا أمر من الله؛ لأن رؤيا الأنبياء حق، فذهب إبراهيم إلى ابنه، وقال له يا أبت افعل { :بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى } [الصافات: ١٠٢] فقال إسماعيل ..[الصافات: ١٠٢] { ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين

وأخذ إبراهيم ابنه إسماعيل وذهب به إلى منى ثم ألقاه على وجهه كي لا يرى وجهه عند الذبح، فیتأثر بعاطفة الأبوة، واستسلم إسماعيل لأمر الله ووضع إبراهيم السكين على رقبة ابنه إسماعيل ليذبحه، وقبل أن يمر السكين سمع إبراهيم نداء الله تعالى يقول له: {يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إن كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين} [الصافات: ١٠٤-١٠٦] وبعد لحظات من النداء الإلهي رأى إبراهيم الملك جبريل - عليه السلام - ومعه كبش عظيم، فأخذه إبراهيم وذبحه بدلاً من ابنه إسماعيل.

لقد أراد الله - عز وجل - أن يختبر إبراهيم في التضحية بابنه إسماعيل، فلما وجده قد امتثل لأمره دون كسل واعتراض كشف الله هذا البلاء، وفدى إسماعيل بكبش عظيم، وقد أصبح يوم فداء إسماعيل وإنقاذه من الذبح عيداً للمسلمين يسمى بعيد الأضحى، يذبح فيه المسلمون الذبائح تقرباً إلى الله وتخليداً لهذه الذكري الطيبة، وعاد إبراهيم بولده إلى البيت، ففرحت الأم بنجاة ولدها فرحاً شديداً، وكبر إسماعيل حتى أصبح شاباً قوياً، وتزوج امرأة من إحدى القبائل التي استقرت حول بئر زمزم.

و ذات يوم زار إبراهيم - عليه السلام - ابنه إسماعيل، فلم يجده في بيته، ووجد زوجته وكانت لا تعرفه، فسألها إبراهيم عن زوجها إسماعيل، فقالت: خرج يبتغي لنا رزقاً، فسألها عن عيشهم، إننا نعيش في ضيق وشدة، فقال إبراهيم: إذا جاء زوجك مريه أن يغير عتبة بابه، فلما عاد: فقالت إسماعيل سأل زوجته: هل زارنا أحد اليوم؟ قالت له: نعم، زارنا شيخ صفته كذا وكذا، فقال إسماعيل: هل قال لك شيئاً؟ قالت: سألني عنك وعن حالتنا وعيشتنا، فقال لها: وماذا قلت له؟ قالت: قلت له: إننا نعيش في ضيق وشدة، فقال إسماعيل: وهل أوصاك بشيء؟ قالت: قال لي: قولي لزوجك عندما يعود أن يغير عتبة بابه، فقال إسماعيل: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فألحقني بأهلك فطلقها إسماعيل، وتزوج بغيرها.

ومرت فترة من الزمن، ثم عاد إبراهيم لزيارة ابنه إسماعيل، ولم يجده أيضاً، ووجد زوجته، وكانت هي أيضاً لا تعرفه، فسألها أين زوجك إسماعيل؟ قالت له: خرج يبتغي لنا رزقاً، فقال إبراهيم: وكيف أنتم؟ قالت: نحن بخير وسعة، ففرح إبراهيم بهذه الزوجة، واطمأن لحالها، فقال لها: إذا جاء زوجك فاقري له مني السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل أخبرته زوجته بما [البخاري]. حدث، وأثنت على إبراهيم، فقال إسماعيل: ذاك أبي وأمرني أن أمسكك

وعاد إبراهيم إلى فلسطين، وظل بها مدة طويلة يعبد الله - عز وجل - ثم ذهب لزيارة إسماعيل، فوجده يبني نبلاً له قرب بئر زمزم، فلما رآه إسماعيل قام إليه واحتضنه واستقبله أحسن استقبال، ثم قال إبراهيم لابنه: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. فقال إسماعيل: اصنع ما أمرك به ربك، فقال إبراهيم: وتعينني عليه؟ قال إسماعيل: وأعينك عليه، فقال إبراهيم: إن الله أمرني أن أبني هنا بيتاً، كي يعبد الناس فيه، فوافق إسماعيل أباه، وبدأ ينقل معه الحجارة اللازمة لبناء هذا

البيت، وكان إبراهيم يبني، وإسماعيل يعينه، حتى إذا ما ارتفع البناء واكتمل جاء جبريل بحجر من الجنة، وأعطاه لإبراهيم، ليضعه في الكعبة، وهو ما يسمى بالحجر الأسود

عليهما السلام - من بناء الكعبة وقفا يدعوان ربهما: {ربنا تقبل - وبعد أن انتهى إبراهيم وإسماعيل

منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم} [البقرة: ١٢٧-١٢٨] وقد أثنى الله على نبيه إسماعيل -عليه السلام- ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد، والمحافظة على الصلاة، وأنه كان يأمر أهله بأدائها، قال تعالى: {واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة}. [مريم: ٥٤-٥٥] {والزكاة وكان عند ربه مرضياً

وكان إسماعيل رسولاً إلى القبائل التي سكنت واستقرت حول بئر زمزم، وأوحى الله إليه، قال تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط} وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى [عليه السلام- أول -إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط} [النساء: ١٦٣] وكان إسماعيل من رمى بسهم، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يشجع الشباب على الرمي بقوله: (ارموا بني [البخاري] إسماعيل فإن أباكم كان رامياً

وإسماعيل -عليه السلام- هو جد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو العرب، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) [مسلم